الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع:

صورة المرأة عند شعراء الغزل الإسلاميين

جميـــــل بن معمر- نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
. أميرة بن شعبان
. عثمان مخلوف

إشراف الأستاذ:
منير بن ذيب

السنة الجامعية: 2012/2011

دعاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا

ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا

وإذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

اللهم داوي الجراح والآلام وارحم دموع اليتامى

وأنقذ الأقصى والقدس وأيقظ الروح والحس.

إهداء

الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة العقل والصحة فأتممنا بعونه هذا العمل والسلام على نبيه ومصطفاه، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له.

إلى التي حملتني وهنا على وهن تسعة أشهر وغمرتني بحنانها وكانت سندا لي في دربي وعانت الحلو والمر حتى أوصلتني إلى ما ابغي

إلى أغلى ما املك في الوجود.

أمـــي...

إلى الذي تكلف المشقة في تعليمي ولم يخل على بشيء، إلى الذي رباني وأرادني أن ابلغ المعالي، إلى الذي كان مثلي الأعلى في الصبر والطاعة لله، إلى اعز ما عندي.

أبـــي...

"حفظهما الله دائما"

إلى أخواتي: نصيرة، حورية، رانية

إلى إخوتي: الدوادي، خالد، كريم، عبد الجليل، عبد الرحمان

إلى من تقاسمت معي عناء هذا البحث: بن شعبان أميرة.

إلى كل اصدقا الدراسة في الجامعة: عبد الحكيم، بوعلام، عبد الغني، عبد الشافي، رضا، احمد، أنور، مروان....

إلى أصدقائي: احمد، إسماعيل، يوسف، وشكر خاص إلى عمار حنوفة.

إلى كل من عرفني من بعيد أو من قريب

إلى كل من يحمل لقب " مخلوف " واحدا واحدا.

إلى الأستاذ منير بن ذيب

إلى كل من أحبهم القلب ولم يذكرهم القلم. اهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

اهداء

بدمعة فرحة النجاح الممتزجة بدمعة فراق الأحبة اهدي ثمرة جهدي هذا إلى أقوى ضوئين في الليل الحالك، أمـــي "نصيرة "وأبـــي "الطيب".

إلى التي علمتني معنى الحياة، إلى أحلى روضة عرفتها السماء، جدتي الغالية" زهور" أطال الله عمرها.

إلى الذي كان لي الصدر الدافئ الحنون والصبور جدي العزيز "عمار" أطال الله عمره.

إلى الذين قاسموني كل لحظة من لحظات عمري إخوتي: عماد، قيس، منال، محمد، بشرى.

إلى خالاتي وخالي الوحيد "رشيد" وأعمامي وعماتي وكل عائلة "بن شعبان" والى كتاكيت البيت" إسحاق وأيوب".

إلى من حبه يجري في عروقي وعرفت معه معنى الحياة، والى من يلهج ذكراه فؤادي" رياض كشار"

إلى جميع صديقاتي خاصة: ابتسام، نوال، مديحة، منى، سهام، زينب، إيمان، نادية، خديجة، مريم، ماجدة، العمرية، ريمة، آسيا، وفاء.

إلى من تعب في مساعدتي إلى تحصيل هذه المعلومات وجمعها، إلى زميلي في الدراسة والمذكرة: عثمان مخلوف.

إلى كل من ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

اهدي هذا العمل المتواضع.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

مدخل..... **1**.

الفصل الأول: صورة المرأة في الإسلام..... **9**.

المبحث الأول: المرأة في العصر الإسلامي..... **9**.

1 -الطائفة الأولى..... 9.

2 -الطائفة الثانية..... 10.

أ - الطائفة الأولى..... 11.

ب - الطائفة الثانية..... 12.

المبحث الثاني: صورة المرأة في الشعر الإسلامي.....14.

1-المرأة مصدر الإلهام..... 16.

المبحث الثالث: مكانة الشعر الغزلي وتطوره..... **17**.

1 -الغزل وأنواعه..... 18.

2 -الغزل منزه عن الأغراض النفعية..... 19.

الفصل الثاني: نموذج عن المرأة في صدر الإسلام..... **21**.

1 -جميل بن معمر..... 21.

أ - نبذة عن حياته..... 21.

ب - وفاته..... 25.

ج- تغزل جميل بابنة عمه بثينة..... 27.

2 -عمر بن أبي ربيعة..... 28.

أ - معنى اللذة..... 28.

ب - اللذة الحسية عند عمر بن أبي ربيعة..... 29.

خاتمة..... **36**.

قائمة المراجع والمصادر.

مقدمة:

كان للمرأة في الجاهلية مكانة مرموقة ومنزلة عالية لا تدانى والدليل على ذلك ما توارثناه من شعر الشعراء ونثر الأدباء الذي يتغنى بالمرأة ولا يفتأ عن ذكرها والإشادة بها في غدوه ورواحه، ومساه ومصبحه، وذكرها يصاحبه حيثما حل وأينما ذهب.

فقد صورها الشعراء في صورة كريمة تليق بمكانتها، وكانت أول شيء يبدؤون به قصائدهم وبراعة استهلال يزينون بها أدبهم وشعرهم.

ومع مجيء الإسلام ارتقى بالمرأة وبلغ بها أوج الكمال ورفع من شانها حتى تسنمت ذروة العلا، ونظم حقوقها وواجباتها وجعل لها دستورا تلتزم به ولا تحيد عنه. فالمرأة لها قدرات خلاقة لا نجدها في الرجل، فقد منحتها قدرة الله الرقة والعذوبة. فهي أسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية لأنها أكثر حساسية باعتبارها الواحة الخضراء في صحراء الحياة. فهي قصيدة الدهر واغرودة الأبد.

فالمرأة هي الوحي الذي يلقى في خلد الأدباء والشعراء صورا منتزعة من رؤى الأحلام، يبعثها في أفئدتهم نسيما عليلا وفكرا رائعا، فهي خمرة الأدب ورحيقه. يرشفه الأديب والشاعر نشوة غامرة.

المرأة هي جنة المأوى ولكنها أيضا جنة وجنة وجنية، فهي تخفي عن الرجل افتن ما فيها وأشهى وهي إذا ما اقترنت به كانت له سترا يستره ودرعا تقيه، فهي التي تخلب لبه وتوسوس له، إذ تضربه بسحرها العجيب، فإذا ما وقع في حبها وتوله بها هام في كل واد وجنح إلى عالمه المظلم، وإذا ما أفرط في حبها وعشقها جن بها وذهل عن كل ما سواها ولم يعد شيئا إلا بها.

وهذا هو حال الشعراء العذريين الذين تغزلوا بالمرأة غزلا يصور معاني الحب الطاهر والتفني فيه حتى قيل انه ماذا أحبوا ماتوا.

وفي بحثنا هذا أردنا أن نوضح صورة المرأة عند الشعراء الغزليين الإسلاميين، وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو قلة الدراسات حوله، حيث لم نعثر إلا على القليل منه. خاصة وان جميل بثينة عاش الواقع المرير من خلال تصويره الحقيقي للمرأة التي كانت ضحية حبها وعبئ العادات والتقاليد عليها من جهة أخرى.

وقد تضمن بحثنا –هذا– مقدمة ومدخلا وفصلين، الفصل الأول كان نظريا تناولنا فيه صورة المرأة في الشعر الإسلامي، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا تضمن نموذجين عن المرأة في صدر الإسلام، عند جميل بثينة و عمر ابن أبي ربيعة. لنصل في الأخير إلى خاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

أما الصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في صعوبة الحصول على المصادر والمراجع– مع شحها في مكتبة المركز– إلا أننا بعون الله وتوفيقه وفضل الأستاذ المشرف استطعنا أن نذلل بعض الصعوبات.

أما المنهج الذي رأيناه مناسبا لهذا العمل فهو المنهج التكاملي الذي يتناول العمل الأدبي من جميع نواحيه.

وفي الأخير نرى انه من الواجب أن نتقدم بالشكر إلى جميع أعضاء الهيئة الإدارية لمعهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي بميلة، وعلى رأسهم الدكتور **رابح الأطرش**.

والى كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد ولو بكلمة تشجيع لانجاز هذا العمل المتواضع.

كما يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير إلى الأستاذ الفاضل **بن ذيب منير** الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة والذي منحنا من وقته الكثير ولم يبخل علينا لا بنصائحه ولا بتوجيهاته، كما يسعدنا أن نوجه الشكر إلى جميع أساتذة الأدب العربي.

مدخل:

لقد صور القران الكريم علاقة المرأة بالرجل علاقة رحمة ومودة كما جاء في صورة الروم:" **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ". فالمرأة في الإسلام تجلب للرجل اللذة والمتعة ولكن ضمن شروط الحلال، ومن هنا فان الإسلام لا يقبل باللذة المحرمة التي تنشدها قصيدة الغزل عند عمر بن أبي ربيعة، بينما يقبل باللذة الروحية الطاهرة التي تنشدها قصيدة الغزل عند جميل بثينة وجميع العذريين.

فالمرأة في الشعر الغزلي الاباحي والعذري تختلف عن المرأة في القران الكريم إلى حد التناقض، فقصيدة الغزل في العصر الأموي ظلت استمرارا لقصيدة الغزل الجاهلية ولعادات وتقاليد وثقافات الشعوب القديمة قبل الإسلام.

إن جميل بثينة ومجنون ليلى، وكثير عزة وجميع الشعراء العذريين قدموا لنا صورا شعرية عن الحب تغاير الصور القرآنية. فصورة المرأة في الإسلام هي صورة المرأة الضعيفة التي تتبع الرجل، هي صورة ناقصة لان الكمال البشري كامل في الرجل لا في المرأة.[1]

فالإسلام يرفض فكرة الحرمان في قصيدة الغزل العذري بالقوة نفسها التي ريف ضبها فكرة المجون في قصيدة الغزل الاباحي لان قصيدة الغزل العربية لم تخضع لقوانين الدين الجديدة فظلت قصيدة كافرة بالمفهوم الديني، متحررة بالمفهوم الفني ولذا وضعت السلطة الدينية معظم الشعراء الغزليين في السجن وأهدرت دمائهم وأبعدتهم من ديارهم ولم تفرق بين شاعر اباحي وشاعر عذري.[2]

الإسلام يرفض التطرف في كل عمل على عكس ما يذهب إليه شعراء الغزل من تطرف في كل أمر جل أو هان، فتطرف جميل بن معمر كامن في أحلامه البعيدة المنال، انه لم يوفق غالى الزواج من حبيبته فعاش في لحرمان الدائم ومن يحلم بشيء ولم يحصل عليه يصبه اليأس

[1] - عبد الحميد حميدة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ص130.
[2] - المرجع نفسه، ص132.

الأبدي وهذا ما حصل لجميل عندما تزوجت بثينة من رجل غيره، هذا الزواج كان الصدمة المباشرة التي فجرت في نفس جميل الحزن العميق الذي عبر عنه بشعر غنائي عاطفي طوال حياته. فعانى كثيرا من حرارة الحب وعذابه فترة طويلة فكان سببا في تشرده في بلاد الشام وكانت نتيجة حبه الاغتراب في بلاد مصر حيث مات متأثرا بجراح الحب القديم. ومثل جميل كمثل أصحابه في المدرسة العذرية، فهذا قيس بن الملوح فصلت ليلى عنه وأهدر دمه، وتترامى أنباء زواج ليلى إلى قيس فيمتد حنينه ويشتد جنونه، وينطلق هائما على وجهه في الفلوات يدركه إغشاء أو شيء يشبه الإغشاء بعد الحين والحين، ثم يدركه أخيرا اغشاء طويل غاية الطول، مظلم كل الظلمة ساكنا كل السكون، مريحا كل الراحة ألا وهو اغشاء الموت العميق... ولا غرابة أن يموت الشاعر العذري من اجل حبيبته إذا فقدها، لأنها محور الكون والوجود والحياة عنده ولا خير في الدنيا إذا لم يزر العذري حبيبا، وتظهر هذه المعاني من قول قيس ليلى: ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر *** حبيبا ولم يطرق إليك حبيب.[1]

فالشاعر يربط خير الدنيا بزيارة الحبيب، وإلا يكون الشر طريقه والبكاء نصيبه، فالشاعر العذري يخلع على العالم مشاعره وأحاسيسه ويرى ما يتصوره من خال علاقات حميمة مع هذا العالم إلى درجة المشاركة الوجدانية بينهما، وتتمثل هذه الرؤيا في قول قيس ليلى: جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى *** وفاضت له من مقلتي غروب.[2]

ومات قيس بن ذريح(قيس لبنى) قهرا على فراق لبنى وهو مغلول بحبه لها، مات من أغلال الليالي التي كانت تهصر بقلبه ويعبر قيس لبنى عن هذا بقوله:[3]

نهاري نهار الناس حتى إذا جن *** لي الليل هزتني إليك المضاجع.

ولقد هزت الشاعر المضاجع من حرق للحب في باطن الحشى فيقول:

ومن حرق للحب في باطن الحشى **** وليل طويل الحزن غير قصير.

[1] - ديوان قيس بن الملوح، سحب الطباعة الشعبية للجيش، ص13.
[2] - المرجع نفسه، ص14.
[3] قيس بن ذريح: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، لبنان، ص23.

فهنا يعبر قيس لبنى عن ليله الطويل، فمصيره كان الهلاك والحرمان، فالشعراء العذريين طريقهم واحد، العاطفة تسيرهم وتقودهم بدون الرجوع إلى العقل. ويعترف جميل بثينة بهذا فيقول: ولو تركت عقلي معي ما طلبتها *** ولكن طلابيها لما فات من عقلي.[1]

فالعقل عند الشاعر العذري معقول لا دور له في بناء قصيدة الغزل العذري، إن عاطفة الحب القوية هي التي تجره نحو الهاوية العميقة، فالشعر العذري يصدر عن روح هائمة والحساس عميق ورؤيا كونية جديدة. إن إدمان الشاعر العذري على رؤية الحبيبة دائما وإلحاحه على طلبها حتى بعد زواجها من غيره، يدلان على إرادته المشلولة وعقله المسلوب، فالشاعر العذري طفل كبير يتفانى فيما يرغب ويشتهي ويريده. ويظل يبكي حتى ينال مراده أو يموت في سبيله، انه لا يفكر ولا يتمهل ولا يسمع نداءا غير نداء قلبه. فهذا جميل يقول:

يقولون مهلا يا جميل، وإنني *** وقسم مالي عن بثينة من مهل.

احلما؟ فتقبل اليوم كان أوانه *** أم أخشى؟ فقبل اليوم أوعدت بالقتل. [2]

إن الشاعر العذري يرفض الواقع ويعيش في الأحلام ويرفض الأحلام ويعيش في الجنون، يرفض الهدوء ويعيش في القلق، يرفض المهل والاستكانة ويعيش في البحث الدائم عن العذاب. فهو يتجاوز عالم الواقع بحبه لعالم ما وراء الطبيعة، فالمرأة الحبيبة في شعره هي الوجود المادي والروحي، فجميل يرى الموت في سبيل الحبيبة شهادة حيث يقول:

لكل حديث بينهن بشاشة *** وكل قتيل بينهن شهيد.[3]

فالحب عند جميل قديم بمعنى أن روحه تعلقت بروح بثينة قبل ولادتهما وباق إلى ما بعد الموت، يقول:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا *** ومن بعدما كنا نطافا وفي المهد.[1]

---

[1] - ديوان جميل بثينة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، ص36.
[2] - المرجع نفسه، ص36.
[3] - المرجع نفسه، ص 87.

ففي هذه الأبيات نجد الحي الذي لا يستطيع الموت هدمه... فهو حب متمكن من قلب جميل حتى في حضرة الموت وظلمة القبر، يقول الشاعر:

ولكنه باق على كل حالة *** وزائرنا في ظلمة القبر واللحد.[2]

وهكذا ينتصر الحب العذري على الفناء على الزمن، انه حب خالد لا يموت لأنه أزلي ابدي، فحب جميل أمانة يجب المحافظة عليها. فحبه بثينة ليس من صنعه، انه سر كوني موجود قبل الولادة لان بثينة هي نموذج الحب وفكر الحب ووحدة الحب. وهذا المفهوم عند جميل دفعه أن يبقى متعلقا ببثينة بعد زواجها، لأنه حب اعم واشمل من مؤسسة الزواج حيث تبدو بثينة صورة أو رمزا للأنثى الكونية.

إن هذا الحب هو حب مباح، حب صوفي مشع كالشمس والهواء يتغلغل في مفاصل العالم حتى يتحد هذا العالم وينتصر على الشر وينتشر في الكون ليعم الخير جميع المخلوقات. فجميل بن معمر إمام المحبين، كان يشبب بحبيبته عن شعور حقيقي بالحب... فقلده الشعراء في ذلك وان لم يكونوا محبين، على أن أكثرهم ابتلوا بالعشق ولاسيما آل عذرة منهم: عمر بن أبي ربيعة، والعرجي، والحارث بن خالد، أبو دهبل، ابن قيس الرقيات، وعروة بن اذينة، وكان عمر بن أبي ربيعة ول من تجرا على التشبيب بالنساء، وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم.[3]

فالشاعر الجاهلي كان يقول الأبيات تغزلا في حبيبته، يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق، ولا يشبب في غير حبيبته أو خطيبته. وقد يسميها بغير اسمها والغالب أن يكني عنها بإحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعونه من الزواج بها. لأنهم كانوا شديدي الغيرة على النساء، حتى أن احدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته من عمد إلى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواه بعد موته. ويندر في الجاهليين أن

---

[1] - المرجع نفسه، ص19.

[2] - المرجع السابق، ص20.

[3] - جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، موفم للنشر، ص489.

يشبب شاعرهم بغير حبيبته وإذا فعل فلداع فوق العادة، كما فعل "دريد بن الصمة" إذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية، فأصبح الشعراء في العصر الأموي أضعاف ذلك وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله. [1] وذلك طبيعي في الأمة بانتقالها من البداوة إلى الحضارة وخصوصا إذا كان ذلك على اثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوار في كل معركة من المعارك. وكانت السبايا في صدر الإسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس، والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن في حاجات المنزل، ويستبقون الجميلات منهن للتسري، فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للموضوعات الغزلية، وصار الشعراء يشببون بالنساء الجميلات، وكان الخلفاء الراشون يعدون ذلك خروجا على حرمة الأدب. فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص، وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة إلا جلده.[2]

ولما أفضت الدولة إلى بني أمية كثر الاختلاط بالأعاجم وذهبت هيبة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الخلفاء الراشدين في المحافظة عليها. هان عليهم التشبيب فأكثروا منه ولاسيما في المدينة، لان أهلها أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك. فكانوا ينفقون الأموال على المغنين ونحوهم، فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الإسلامية إلى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم.[3]

وكان جميل بن معمر هو إمام النسيب والغزل في الإسلام، وكان معاصرا لعبد الملك بن مروان وهو الذي وطّأ النسيب للشعراء، فأكثر منه وتفنن فيه. لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة فاستحسن الناس تشبيبه لأنه طبيعي صادر عن شعور صادق فاخذوا يقلدونه فيه. فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي، واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين كليلى وهند وشببوا بهن تقليدا، وبعد أن كانت بثينة مثلا معشوقة جميل صارت عروسا للشعر يباح التغزل بها لمن أراد، وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة.[4]

---

[1] - جرجي زيدان، المرجع السابق، ص414.
[2] - أبي الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص134.
[3] - المرجع نفسه، ص134.
[4] - المرجع نفسه، ص 135.

فجميل كان يشبب بحبيبته ولا حرج عليه، وأراد الشعراء تحديه والتغزل بجميلات النساء وهن في الغالب بحوزة الأمراء والخلفاء، فخافوا غضب بعولتهن أو أبائهن فلم يكن يجرا على المجاهرة بذلك من الشعراء إلا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع له. ولذلك كان اسبق الشعراء إلى التشبيب من قريش لما كان من القرشي من المنزلة الرفيعة والهيبة في العصر الأموي.

فأول من تجرأ على التشبيب من قريش ابن أبي عتيق وهو ابن حفيد أبي بكر الصديق، يقولون انه كان طاهرا عفيفا يشبب عن غير ريبة، ثم عمر بن أبي ربيعة وغيرهم.[1]

فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب وصاروا يعتقدون أن الشعر لا يحسن إلا به لما فيه من عطف القلوب فيبدأ الشاعر الحضري يذكر الحبيب والصدود والهجران، كما يبدأ البدوي يذكر الرحيل والانتقال ووصف الأطلال.[2]

وقد يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل مولى عبد العزيز بن مروان، وقد استسقى فتاة ماءا فسقته لبنا وطلبت إليه أن يشبب بها، فقال: ما اسمك؟ قالت: هند، قال: وما اسم هذا الجبل؟ قالت: قنا، فانشد يقول:

أحب قنا من حب هند ولم أكن *** أبالي اقربا زاده الله أم بعدا.

إلا أن بالقيعان من بطن ذي قنا *** لنا حاجة مالت إليه بنا عمدا.

اروني قنا انظر أليه فإنني *** أحب قنا إني رأيت به هندا.[3]

وشاعت هذه الأبيات وخطبت هذه الجارية من اجلها. فالمرأة كان يسرها أن يشبب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو الزواج منه، ولكن يسرها ما في التشبيب من الإعجاب بجمالها (والفواني يغرهن الثناء) سواء في ذلك الأميرة والحقيرة، فزوجة الوليد بن عبد الملك هي التي

[1] -المرجع السابق،ص135.
[2] - جرجي زيدان، مرجع سابق،ص417.
[3] - المرجع نفسه، ص417.

اقترحت على وضاح اليمني أن يشبب بها، واقترحت أم محمد بنت مروان بن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة أن يشعرها بشعره. وبعثت إليه بألف دينار فأبى أن يؤجر عن التشبيب، فابتاع بالجائزة حلا وطيبا وأهداه إليها فردته، فقال لها أبياتا مطلعها:

أيها الرّاكبُ المُجدُّ ابْتِكَارَا *** قد قضى مِنْ تِهامة الاوْطارَا.[1]

فجميل شاعر عذري يحمل نفسه على المخاوف والمهالك ويركب الأهوال، وقصيدة الغزل عنده محاكاة لعالم الأحلام المغاير لعالم الواقع. إنها ورطة غرامية وارتطام في مهواة سحيقة لا تسمع منها إلا الأنين وصدى السقوط البعيد، هذا السقوط هو الذي يتلف نفسه فيقول:

وما ذكرتك النفس يا بثين مرة *** من الدهر، إلا كادت النفس تتلف.[2]

إن العذاب الذي يحل في جميل ليس مقدمة لفعل لكنه نتيجة لفعل الحب الذي يعاقب عليه المجتمع، وما قصيدة الغزل عنده إلا صورة للحب الذي يجلب العذاب. وفي هذه الأبيات يشكو جميل من قسوة الألم ويهاجم قلبه يعنف ليتغلب على هواه فيقول:

فيا قلب دع ذكرى بثينة فإنها *** وان كنت تهواها، تضن وتبخل.

وقد اياست من نيلها وتجهمت *** وللبأس إن لم يقدر النيل امثل.

وكيف ترجى وصلها بعد بعدها *** وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل.

وان التي أحببت قد حيل دونها *** فكن حازما، والحازم المتحول.

ففي اليأس ما يسلى وفي النفس خلة *** وفي الأرض عمن يواتيك معزل.[3]

فجميل لا يجديه نفع، فعقله عاجز عن اتخاذ القرار بنسيان بثينة، أن عقله هنا غائب لا مكان له فيها ولا دور. إنها أبيات مغمورة بالعاطفة وبالأهواء والانفعالات، انه الحب الذي لا يعرف اليأس، والذاكرة التي لا تعرف النسيان، وبثينة جزء من هذه الذاكرة.

---

[1] - المرجع السابق، ص 419.

[2] - عبد الحميد حميدة: مرجع سابق، ص140.

[3] - ديوان جميل بثينة: مرجع سابق، ص41

وقد أبدع أدونيس القول في جميل عندما وصف دعوته إلى الهجر " صار الهجر نفسه نوعا من الوصال". وهكذا يحل طرفا الجدل في هيام يتجاوز التناقضات، فبثينة هي النسيان والتذكر، القرب والبعد، الهجر والوصل، الحلم والواقع، الحياة والموت، ومن هنا كانت العلاقة بين الحب والموت في شعره علاقة حركية، يقول جميل:

يقولون: مسحورٌ يَجِنُ بِذكرِهَا *** واقْسِمُ ما بي مِنْ جُنُونٍ، ولا سِحْرُ.

فجميل يقصد أن حبه ابعد من الجنون والسحر، حب متصل بالحركة السرية للحياة، حب يجلب الفرحة والسعادة الحقيقة، حب يعطي الجواب بدون سؤال. إن جميلا لا يحب بثينة لأنها شاركته الحب فقط، لقد أحبها لان الظلم جاء إليه منها وبسببها ليعلمه معنى الحرية، وليعمق في روحه قدسية التحرر، وليسمع وقع خطى العاشقين الآتية من الأبدية على أنغام أنين العشاق المعذبين.[1]

فالغزل والتشبيب والنسيب هي من أقدم الفنون الشعرية عند العرب، وأكثرها شيوعا لاتصالها الوثيق بالطبيعة الإنسانية، فالحب ميل فطري في كل بنية، ووصف المحبوبة والتغني بجمالها إحساس تلقائي، فقد تطورت فنون التغزل بالذات في الشعر العربي تطورا كبيرا منذ الجاهلية حتى القرن الثاني، إذ طرأت عليه عوامل مختلفة خاصة في الحجاز حولته عن صورته الجاهلية القديمة إلى صورة جديدة تتضح فيها التأثيرات الحضرية المختلفة فتغيرت صور النسيب القديم تغيرا يكاد يكون تاما.[2]

[1] - عبد الحميد حميدة، مرجع سابق، ص142.
[2] -آبي الفرج قدامه بن جعفر، مرجع سابق، ص136.

الفصل الأول

صورة المرأة في الإسلام

المبحث الأول: المرأة في العصر الإسلامي.

1 -الطائفة الأولى.
2 -الطائفة الثانية.
أ -الطائفة الأولى.
ب - الطائفة الثانية.

المبحث الثاني: صورة المرأة في الشعر الإسلامي.

1-المرأة مصدر الإلهام.

المبحث الثالث: مكانة الشعر الغزلي وتطوره.

1 -الغزل وأنواعه.
2 -الغزل منزه عن الأغراض النفعية.

المبحث الأول: المرأة في العصر الإسلامي

لقد عرفت صورة المرأة في عصر صدر الإسلام بعض التغيير، إذ قل حضور الشعر الذي يعنى بتصوير المرأة، وهذا يعود إلى تعاليم الدين الحنيف الذي ينهى عن الإتيان بهذا الضرب باعتباره هتكا للأعراض وانتهاكا للحرمات وقذفا للمحصنات. إن يذكر الشاعر امرأة بعينها فيشهر بها ويذيع من محاسنها وأوصافها الجسدية. أضف إلى ذلك أن العرب في هذه الفترة قد انصرفوا عن الشعر بما شغلهم بأمر الدين وما أدهشهم من أسلوب القران ونظمه، وفي هذا يقول " ابن سلام الجمحي" في كتابه " طبقات فحول الشعراء":(فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته). [1] لكن ليس هذا أن جميع الشعراء الذين اعتنقوا الإسلام قد صمتوا صمتا مطبقا أو انصرفوا انصرافا تاما عن الشعر، فالمتتبع لشعر هذه الفترة في المرأة يجد أن الشعراء في ذلك طائفتان:

1- الطائفة الأولى: تمثل الشعراء الذين دخل الإسلام نفوسهم وبقيت الأهواء متأصلة. فعبروا عناه بصراحة حينا، وفي رمز وتخف حينا آخر. ومن أمثال هؤلاء: سعيد بن عبد بني الحساس الذي كان يعكس جانبا المجانة والإباحة، ومن ذلك قوله:

فما بيضت بات الظليم يحفها *** ويفرشها وحفا من الرزق وافيا

فيرفع عنها وهي بيضاء مطلة*** وقد واجهت قرنا من الشمس ضاحيا.[2]

كما نجد سويد بن أبي كاهل يقول:

تمنح المرأة وجها واضحا *** مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع.

صافي اللون، وطرفا ساجيا*** أكحل العينين،ما فيه قمح.[3]

[1] ابن سلام الجمعي: طبقات فحول الشعراء، الجزء الأول، دار المدني، جدة، 1974، ص 25.
[2] علي البطل: الصورة في الشعر العربي، ص 100.
[3] المرجع نفسه: ص 98.

فهو كما نلاحظ يجفل بالتصوير الجسدي، فوجهها مشرق ابيض كأنه الشمس وطرفها أكحل.

ولان الإسلام حارب هذا الضرب في تصوير المرأة، فقد لجأ بعض الشعراء إلى الكنايات والرموز. روى الأصفهاني:" تقدم عمر بن الخطاب إلى الشعراء ألا يشبب احد بامرأة إلا جلده. فانشد حميد بن ثور الهلالي يقول:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه*** ولا الفيء من برد العشي تذوق

فهل انأ إن عللت نفسي بسرحة *** من السرح موجود على الطريق.[1]

فهو في شعره هذا يتحدث عن شجرة تروق على كل الأشجار الأخرى، وتزين عليها سموا وبهاء. وهو لا يقصد الشجرة بذاتها وإنما يقصد محبوبته.

2-الطائفة الثانية: وتتمثل هذه الطائفة الشعراء الذين امنوا بالحياة الجديدة، ومثلوها التزموا حدودها ومن ثمة جاء حديثهم عن المرأة بتعبير فيه عفة وطهارة، كما هو الحال عند حسان بن ثابت. حيث يقول في قصيدة له:

منع النوم بالعشاء الهموم *** وخيال إذ تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه *** سقم فهو داخل مكتوم.[2]

فقد جاء تعبيره هنا في عفة لم يتجاوز أن امتدح اشراقة وجهها، كما نجد كعب بن زهير يقول:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يغد مكبول.

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا *** إلا أغن عضيض الطرف مكحول.

تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت *** كأنه منهل بالراح معلول.[3]

[1] الأصفهاني: الأغاني، ج4،ج12، دار الثقافة، بيروت، ص195.
[2] حسان بن ثابت: الديوان، تحقيق الدكتور: سيدي حنفي حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص225.
[3] احمد محمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي، ص 38.

فالشاعر هنا يصفها بأنها رقيقة الصوت، فاترة الطرف، تضحك عن أسنان بيضاء. ومع أن شعره هذا يجري مجرى الشعراء الجاهليين من حيث أوصاف المرأة، فإننا لا نجد فيه أي فحش أو إباحية. ومجمل القول أن حديث الشعراء في المرأة في هذه الفترة –على قلته– قد تهذب لكنه بقي تابعا في معظمه إلى فترة ما قبل الإسلام. وفي تهذيبه هذب النفوس التي كان يقال فيها–صورة المرأة– وعلى الرغم من الحشمة التي فرضها الإسلام على الشعراء في تصويرهم للمرأة والتغزل بها،فقد انكبوا على الاهتمام بها وأولوها العناية الفائقة في شعرهم بمجيء عصر بني أمية. وإذا نظرنا إلى صورة المرأة في شعر هذه الفترة نجد أن الشعراء قد اختلفوا في تصويرها، فهناك من اهتم بتصوير العاطفة لا التعبير عن المرأة التي هي هدف العاطفة ومجالها. حيث ركز على الجانب الروحي أكثر من الصورة الجسدية لذلك. وهناك من ركز على الجانب الحسي للمرأة، وبهذا فقد انقسما إلى طائفتين:

أ–**الطائفة الأولى:** وكان ظهور المرأة فيه قليلا، ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشاعر العذري: جميل بن معمر(جميل بثينة) على اعتبار ما اتصف به من حب عفيف ومودة صادقة وقناعة ووفاء، ومما يلاحظ على الشاعر العذري انه يقف نفسه وفنه على امرأة واحدة ويحرص على إظهار قوة عشقه على نحو ما قاله:

واني لأرضى من بثينة بالذي *** لو أبصره الواشي لفزت بلايله.

بلا، وبالا استطيع، وبالمنى ***** وبالوعد حتى يسام الوعد أمله.

وبالنظرة العجلى، وبالحول ينقضي*** أواخره، لا نلتقي وأوائله.[1]

يظهر جميل في هذه الأبيات اكتفاءه وقناعته بأقل القليل من محبوبته ويصور حبه ورجاءه الخائب الذي أصابه منها. فهو المحب القنوع المقيم على العهد مهما عانى من الم المحب ويظهر ذلك في قوله:

[1] جميل بن معمر: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1982، ص 88.

ويقلن: انك يا يثين بخيلة *** نفسي فداؤك من ضنين باخل.[1]

وقوله أيضا:

ابثين انك قد ملكت فاسجحي *** وخذي بحظك من كريم واصل.[2]

نجده في هذا البيت يسال محبوبته أن تعامله بالإحسان فحبه يشغله عن وصاله كما نجد إلى جانب جميل بن معمر شاعرا عذريا آخر هو: قيس بن ذريح الذي وقف شعره وغزله على محبوبته لبنى التي يقول في غرامه لها:

لقد لاقيت من كلفي بلبنى *** بلاء ما اسيغ به الشرابا.

إذا نادي المنادي باسم لبنى *** عييت فما أطيق له جوابا.[3]

وقوله أيضا:

إني لأهوى النوم في غير حينه *** لعل لقاء في المنام يكون.

تحدثني الأحلام أني أراكم *** فيا ليت أحلام المنام بقيت.[4]

يصور هنا قيس لوعته بمحبوبته وكيف انه يذكرها مستيقظا ويطوف به خيالها نائما ومنه نخلص أن الشعر عند العذريين في تصويرهم للمرأة قد قام على صدق العاطفة وتحمل الآلام والتفرد بالوفاء، فهذا هو البوح الصادق عن جميل وقد قل نظيره في الأدب العربي.

ب-الطائفة الثانية: في مقابل الطائفة الأولى نجد إلى جانبها من الشعراء من اهتموا بالمرأة، وركزوا على الجانب الحسي منها. نذكر منهم على سبيل المثال " عمر بن أبي ربيعة" الذي وقف حياته على تصوير المرأة، حيث كان كثير الإخلاص للجسد ومفاتنه وقد كان قديم"عمر" جديدا

[1] المرجع السابق، ص54.
[2] المرجع نفسه: ص88.
[3] قيس بن ذريح: الديوان، جمعه وحققه وشرحه الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، لبنان، ص20
[4] المرجع نفسه: ص150.

وان انساق أحيانا إلى تيار التقليد حيث أتى ببعض العناصر التقليدية لصورة المرأة المثال حيث تعرض لوصف الجسد، ونجد في ذلك من مثل قوله:

غراء يغشى الناظرين بياضها *** حوراء،في غلواء عيش معجب.[1]

وقوله: وبدين ادم،شادن،خرق *** يرعى الرياض ببلدة قفر.[2]

ففي هذه الأبيات نجد التركيز على وصف جسد المرأة فهي كالشمس، وصورتها غراء واضحة.

ونشير إلى أن "عمر" قد تناول نفسية المرأة في شعره حيث صور أخلاقها وأساليبها في الحديث وحركاتها، من ذلك الوصف الرائع لمحبوبته في داليته والذي نلمس فيه احد جوانب النفس عند النساء جانب الحسد في قوله: حسد حملته من اجلها *** وقديما كان في الناس حسد.[3]

وفي قوله أيضا: سيفانة أوتيت في الحسن صورتها *** عقلا وخلقا نبيلا كامل عجبا.[4]

فقد صور هنا الجانب الأخلاقي منها إلى الجانب الجمالي لجسدها وهي ذات الصورة حسنة نبيلة الخلق كاملة العقل.

ونجد إلى جانب " عمر بن أبي ربيعة" شاعرا اتبع نهجه وسار على دربه في تصويره للمرأة، وقد اختلطت في شعره نماذج الصورة التقليدية وهو " الاحوص الأنصاري" كما نجد في قوله:

قامت تريك شتيت النبت ذا اشر *** كأنه من سواري صيف بارد.

ومقلتي مطفل فرد أطاع لها *** بقل ومرد ضفا مكاؤه غرد.

يزين لبتها، تكنفه *** نظامه فأجادوا السرد إن سردوا.[5]

---

[1] عمر بن أبي ربيعة: الديوان،تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد،دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983،ص251

[2] المرجع نفسه: ص 37.

[3] المرجع نفسه: ص155.

[4] المرجع نفسه: ص245.

[5] علي البطل: الصورة في الشعر العربي،مرجع سابق، ص155.

المبحث الثاني: صورة المرأة في الشعر الإسلامي:

لا تخفى على احد صورة المرأة في الأدب عامة وفي الشعر خاصة، فالمرأة ملهمة الشعراء وزينة القصائد والتاريخ الأدبي خير شاهد على ذلك. فبنظرة عاجلة على الشعر العربي في العصر الجاهلي لا تخطئ العين صورة المرأة البارزة والجلية في أشعار الجاهليين ويكفي أن ما من معلقة من المعلقات العشر وهي أجود عشر قصائد في الشعر الجاهلي، خلت من الاستهلال بالحديث عن المرأة والوقوف على أطلالها والبكاء على فراقها. وجاء الإسلام ولم يتخل الشعراء الإسلاميون عن هذا المبدأ، فترى المقدمات الطللية والغزلية عند شعراء صدر الإسلام الذين عاصروا الرسول "صلى الله عليه وسلم" أمثال"حسان بن ثابت" شاعر الرسول"ص" وكعب بن مالك.

لقد تطورت أغراض الشعر بعد ذلك ولم تعد المرأة يستهل بها في القصائد فحسب، بل صارت تحتل قصائد كاملة. وطهر شعراء لم يكتبوا شعرا إلا عن المرأة، بل ربما لم يكتبوا شعرا إلا في امرأة حتى صار شعرهم مقصورا عليها وحدها، وحتى يميز مؤرخو الأدب هذا اللون أطلقوا عليه "الغزل العذري" وعلى شعرائه "الشعراء العذريون" وتميز هذا اللون من الشعر بتناول المرأة تناولا معنويا، لا تناولا حسيا.

ولم ينس الشعر الإسلامي المرأة المستضعفة والمجاهدة في كل زمان ومكان. [1] وبعد مجيء الإسلام لم يتخل عن المرأة بل تخلى عن أشكال معينة من التناول الشعري للمرأة واختفى الشعر المرتمي في أحضان المرأة المفتون بها أو الهائم في سحرها، واختفت المرأة المعشوقة التي تسيطر على الشاعر وتسلبه عقله، وتشغل تفكيره وتستحوذ على اهتماماته وتكون محط إبداعه. بل يعلن الشعراء الإسلاميون رفض هذا اللون صراحة، فهناك ما يستحوذ على مشاعرهم ويشغل عواطفهم عن الهوى والغرام، يقول الدكتور عبد الرحمن صالح الغشماوي:

[1] عبد الرحمن الغشماوي: إلى أمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ص34.

عودي فقد أغلقت بابي *** وسئمت شوقي واضطرابي

أيضيع شعري في الهوى *** وانأ عصامي الخطاب

قالت: أتعتزل النسيب *** ولم تزل غض الاهاب

وقلوب أهل الشعر لا *** تقوى على حمل الصعاب.[1]

فالشعر الإسلامي لم يتخل عن المرأة وان كان قد جدد في أساليب التناول الشعري والخطاب تجاهها، وتخلى عن النظرة المسفة التي عرت المرأة من القيم الخلقية تلك التي روج لها شعراء اساؤوا الأدب مع المرأة قبل أن يسيئوا إلى دينهم وأخلاق مجتمعهم. ونظر لها الشعر الإسلامي نظرة تقدير وإجلال كفرد فاعل ومشارك في تكوين مجتمع نظيف وليس كلوحة معروضة للتلذذ بها والتشهي بصورتها، يقول هاشم الرفاعي:

أقسمت لا حبا شكوت ولا هوى *** يدمي الفؤاد ويرسل الآهات.

كلا فلست من الذين شقاؤهم *** وهناؤهم بمشيئة لفتاة.[2]

نلاحظ ظهور لون جديد خاص بالمرأة وهو مخاطبة عقل المرأة وقلبها وفكرها ودعوتها إلى طريق الهداية والالتزام، ولعل الذي ساعد على ظهور هذا اللون هو تخلي المرأة المسلمة عن التزامها الإسلامي في ملبسها ومظهرها وبالتالي في تفكيرها. يقول الدكتور يوسف القرضاوي في قصيدة " إليك يا ابنة الإسلام":

يا درة حفظت بالمس غالية *** وليوم يبغونها للصور واللعب.

يا حرة قد أرادوا جعلها امة *** غربية العقل لكن اسمها عربي.[3]

وهذا ليس تزمتا من الشعر الإسلامي تجاه المرأة ولكنه في حقيقة الأمر احترام لها وتقدير لأنوثتها.

[1] عبد الرحمن الغشماوي: ديوان"من القدس إلى سراييفو" دار الصحوة، مصر
[2] علي إبراهيم أبو زيد: صورة المرأة في الشعر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص5.
[3] عبد الرحمان الغشماوي: إلى أمتي، مكتبة العبيكان، الرياض، ص34.

1-المرأة مصدر الإلهام: لم يخل الشعر الإسلامي من أشكال من التعبير مشهورة في الخطاب الشعري خاصة بالمرأة كاستلهام المرأة رمزا وإيحاءا يبث إليه الشاعر همومه وأحزانه، أو استلهامها رمزا يحزن من اجله، يقول عبد الرحمن الغشماوي في مطلع قصيدة بعنوان" من لقدس إلى سراييفو":

أذبلتني لأجلك الأحزان *** وبكى قبل مقلتي الوجدان.

سهم عينيك لم يصبني ولكن *** سلبتني إرادتي الأجفان.

لا تغيبي عني فاني لأخشى *** أن يجف الندى ويشقى الجنان.

آه لو تسمعين ما قال حزني *** وبماذا تحدث الطوفان.

لا تقولي: من أنت؟ إني محب *** أشعلت في فؤاده النيران.[1]

وقد برع الشاعر الإسلامي في تناول المرأة الأم والزوجة والابنة التي يبث إليها شوقه وهمومه وعواطفه، يقول محمود مفلح:

أماه يا لفظا على شفتي *** اغلي من الدنيا وما فيها.

أماه والأشواق جامحة *** كم ذا أكبادها... أعانيها.

أماه والدنيا حلاوة *** والناس قد فحت أفاعيها.

من أين لي صوت وحنجرة *** والناعقون تزاحموا فيها.

أماه لكني على ظمأ *** وجوانحي لابد ارويها.

مادامت الآيات تغمرني *** وأنا بكل العمر اشريها.

وارى هناك العلم مئذنة *** وارى طيور العشق تفديها.

لابد من يوم أؤوب به *** وعصاي في بيتي سألقيها.[1]

[1] ابن رشيق القيرواني: العمدة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، ج2، ص 116.

وتختلف لهجة هذا الكلام باختلاف الأحوال فهو أحيانا شكوى يعرض فيه الشاعر ما يصيبه من هجران المحبوبة أولادها وهو أيضا تذلل واستعطاف غايتهما استدرار رضاها، وهو تارة وصف لذات الهوى وما يضفيه الوصال على جو الشاعر من حبور ونشوة.

المبحث الثالث: مكانة الشعر الغزلي وتطوره:

احتل شعر الغزل مساحة واسعة في ثورة الشعر العربي وتربع على قممها فإذا هو خفق أفئدة وذوب قلوبا، وهو يمثل الحياة الداخلية والخارجية اصدق تمثيل ولقد مر الغزل بمراحل مختلفة كلها منذ الجاهلية وحتى اليوم، ففي الجاهلية كان الغزل يأتي في مطالع قصائد الشعراء، بل عالة على القصيدة يحشرونه فيه حشرا، ثم تحول إلى عادة فرضتها تقاليد البيئة، وفي شعر صدر الإسلام لم يكن للغزل شان مهم أو مكان واسع فلم يرفف له علم في سماء الحسان حتى أصيب بنكسة بسبب دعوة الدين إلى صيانة المرأة ونهيه الناس عن الفحشاء والمنكر. أما في العصر الأموي فقد أصبح الغزل موضوعا رئيسا له شخصيته وكيانه باعتباره حدثا أدبيا مهما عند زعمائه. ومن أبرزهم جميل بن معمر(جميل بثينة) ، وعمر بن أبي ربيعة، قيس بن الملوح، فكان له انتشاره الواسع وراح يرتوي من ينابيعه الرجال والنساء حتى أن العظماء والفقهاء راحوا يرددونه ويحسنون إليه الإصغاء، وكذلك كان حال الغزل من الشأن والأهمية والانتشار في العصر العباسي على يد شعراء لمعت أسماؤهم في سمائه منهم أبو نواس، وبشار بن يرد، والبحتري وابن الرومي والشريف الرضي.[2] ولقد اختلف الدارسون من حيث تقسيم الغزل إلى أنواع، فمنهم من قسمه تبعا للنساء اللواتي تغزل بهن الشعراء، ومنهم من قسمه تبعا للبيئة التي انطلق منها، ومنهم من قسمه تبعا لطبيعة الغزل نفسه عفيف أم صريح، ومنهم من اقره في أنواع ثلاثة هي:

1- الغزل البدوي: وهو يعتمد الحزن واليأس والوفاء والحبيب الواحد.

2- الغزل الحضري: وهو يعتمد اللهو والمجون والحبيبات الكثيرات.

---

[1] أبو النواس: الديوان، تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 227.

[2] رضا ديب عواضة: المرأة في شعر(عمر بن أبي ربيعة،عمر أبي ريشة، نزار قباني). بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص20.

3- الغزل التقليدي: وهو يقوم على الحنين إلى الديار المهجورة أو غير المهجورة، ويفتتح الشاعر به قصائده.[1]

4- النسيب: ويقوم على التحدث إلى المرأة بلغة الأشواق عن أهواء الأعماق، وهو حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني غير غامض وان يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الإيثار، رطب الكسر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين.[2]

إن هذه التقسيمات تساعدنا على أن ننظر في شعر الغزل من نواح مختلفة وتمكننا من معرفة الفروق وتدلنا عليها، وتومئ إلينا بها. والواقع أن قراءتنا للشعر الغزلي الذي نقل إلينا عن الجاهليين ترينا أن هذا الغزل يمكن أن يندرج في:

1/ غزل كان يقصد إلى الوقوف على الأطلال وبكائها ووصفها.

2/ غزل يتجاوز هذه الأطلال ويتمثل في مشاهد التحمل وارتحال الأحبة.

3/ غزل يتمثل في الأبيات التي يتحدث فيها الشاعر عن رأيه في الحب ونظرته إلى المرأة أي آراء في الحب.[3] وقيل غن قبيلة عذرة انه ماذا أحبوا ماتوا لما هم عيه من الصدق والإخلاص، لان الشاعر منهم يحب الفتاة فيتغزل بها. فيفتضح أمرها، فإذا خطبها من أبيها رده خائبا مخافة التعيير لئلا يقال انه زوجها به سترا لعارها ثم لا يلب ثان يزفها إلى أول طالب يرتضيه لها، ليجعلها محصنة في حمى بعلها فيصبح الشاعر كلفا بحب امرأة متزوجة، ولكنه عاشق متبول لا يقوى على مغالبة هواه ولو كان فيه هلاكه، فيسعى إلى الاجتماع بها سرا على غرة من أهلها حتى إذا عرفوا بأمره شددوا في حجبها عنه وشكوه إلى الوالي فيهدده ويتوعده، ثم يهدر دمه فيهرب منه هائما على وجهه يجوب القفار وينشد الأشعار حتى يأتيه الموت فينقذه من عذابه.[4]

---

[1] - رضا ذيب عواضة: المرجع السابق، ص22.21.

[2] - ابن رشيق القيرواني: مرجع سابق: ص116.

[3] - شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ص 36.

[4] -على إبراهيم أبو زيد: صورة المرأة في الشعر العباسي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983، ص5.

2-شعر الغزل منزه عن الأغراض النفعية:

يعد الغزل اصدق فنون الشعر إذ يتسم بصدق الأداء وصدق التعبير عن الوجدان وتصوير المشاعر والأحاسيس، حيث لم يكن الدافع وراءه ما دفع أصحاب المدح والوقف والهجاء والفخر، فهذه غالبا ما يبعثها التملق فتحرم الصدق في المشاعر والإخلاص في الوجدان، وتأتي متكلفة المعاني باهتة الصور مصطنعة الأداء ولا يصدر تصوير المرأة في الشعر عن مطمع مادي أو رغبة في مال أو عطاء، خاصة العذري منه الذي لا يهدف من نظمه إلى رغبة في متعة أو لقاء غير مشروع، بل يصدر عن تعبير صادق وعاطفة ووجدان مخلص يبدو في التعبير وفي الأداء.[1]

والغزل لغة كما جاء في لسان العرب هو" حديث الفتيان والفتيات وهو كذلك اللهو مع النساء."[2]

والغزل اصطلاحا:" هو كلام يبثه الشاعر عن عواطف الحب نحو المحبوب، فالشاعر هو مسجل حياة القبيلة ومجمع مآثرها وهو صورة اجتماعية لحياة الناس، فهو ليس لسان القبيلة الذي يعبر عنها فحسب وإنما لسان معبر عن وجوده النفسي وعواطفه الخاصة.. انه لم يكن بوق القبيلة فقط ولكنه قيثارة نفسه وصدى لقبيلته بعد ذلك.[3]

إلى جانب هذا فان ابن رشيق في كتابه" العمدة" لا يجعل من شعر الغزل وسيلة لأغراض أخرى يتلمسها الشاعر عند السامع، وإنما يجعل منه وسيلة الشاعر إلى نفسه يخلو إلى ذكر أحبابه فيهيج ذلك عنده عواطفه ويؤجج نارها.[4]

فالغزل أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعا، لأنه متصل بطبيعة الإنسان وبتجاربه الذاتية خاصة وان الحب يحرك كل القلوب، والشعراء دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة فيتدفق على ألسنتهم من وجدان نرهف ليعبر عما يجيش في خاطر الشاعر وعما

[1] - المرجع نفسه، ص5.
[2] - ابن منظور: لسان العرب، مادة غ،ز،ل، ج11.
[3] - شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ص27.
[4] - المرجع السابق، ص 30.

يختلج في قلبه. الغزل ينبع من النفس بعد أن يتفجر الحب في أعماقها، وبما أن الحب إحساس مشترك بين جميع الناس، فإنهم يجدون لذة في سماع أشعار الحب، فالغزل ليس تعبيرا نعن تجربة ماضية فقط. انه تعبير عن تجربة ماضية أو حاضرة تترك أثرها في مستقبل كل إنسان.[1]

[1] - سراج الدين محمد: الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص7.

الفصل الثانـي

نموذج عن المرأة في صدر الإسلام

1. جميل بن معمر.
   أ – نبذة عن حياته.
   ب – وفاته.
   ج– تغزل جميل بابنة عمه بثينة.
2. –عمر بن أبي ربيعة.
   أ – معنى اللذة.
   ب – اللذة الحسية عند عمر بن أبي ربيعة.

1 جميل بن معمر

أ-نبذة عن حياته ومولده: جميل بن معمر بن عبد الله هو النفس المحبة المتهالكة في حبها، تعلق بابنة عمه بثينة بنت حبا بن حن من ربيعة وكانا يقيمان في وادي القرى بالحجاز، ويروى أن السبب الذي جعل جميلا يتعلق بها انه اقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له" بغيض" فاضطجع وأرسل إبله ترعى، وأهل بثينة يومهن في جانب الوادي فأقبلت بثينة وجارية لها واردتين الماء، فمرتا على فصال له بروك فنفرتهن بثينة فقال قد نفرتهن وكانت إذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل فبادلته السب وشتمته هي أيضا. فاستحسن سبابها وهام بها من ذاك الحين وفي ذلك يقول:

وأول ما قاد المودة بيننا *** بوادي بغيض يا بثينة سباب.

وقلنا لها قولا فجاءت بمثله *** لكل كلام يا بثين جواب.[1]

واشتهر حب جميل بثينة وتحدث به الذاهب والايب حتى قيل (جميل بثينة) ولما خطب الشاعر بثينة إلى أهلها ردوه خشية أن يعيرهم الناس لقوله فيها الشعر، واشتهار حبه لها. واثروا تزويجها فتى من عذرة يقال له" نبيه بن الأسود" فشق الأمر على جميل وكان يزورها خفية، فتعرض له أهلها غير مرة للإيقاع به فدفعهم عنه معتزا بسيفه وقد قال في ذلك:

حَلفتُ بِربِ الراقصات إلى مِنىً *** هُوِيَ القطا يجْتزنَ بطْنَ دفينِ.

لقَدْ ظَنَ هذا القَلْبُ اَنْ لَيْسَ لاَقِيًا *** سُلَيْمَى وَلاَ أُمَّ الحُسَينِ لِحِينِ.

فَلَيتَ رِجَالاً فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِي *** وَهَمُوا بِقَتْلِي، يَا بُثَيْنُ، لَقُونِي.

إِذَا مَا رَأَونِي طَالِعًا مِنْ ثَنِيَةٍ *** يَقُولُونَ: مَنْ هَذَا؟، وَقَدْ عَرَفُونِي.

وَلَو أَرْسَلَتْ يَومًا بثينة تَبْتَغِي *** يَمِينِي، وَلَوْ عَزّتْ عَليَ يَمِينِي.

[1] - ديوان جميل بثينة: سحب الطباعة الشعبية للجيش، ص 105.

لأَعْطَيْتُهَا مَا جَاءَ يَبْغِي رَسُولُهَا *** وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ اليَمِينِ، سَلِينِي.

سَلِينِي مَالِي يَا بُثَيْنُ، فَإِنَمَا *** يبين عِنْدَ المَالِ كُلُ ضَنِينِ.[1]

وراح الشعراء من أشياع بثينة يرشقون جميلا بالهجاء وقد اعترضه بنوع خاص عبد الله بن قطبة احد بني الأحب، وهو من رهطها الأدنين فهجاه، فرد عيه جميل فغلبه، فاستدعى بنو الأحب عليه عامر بن ربعي ابن دجاجة، وكان واليا على بلاد عذرة وقالوا: يهجونا ويغشى بيوتنا ويشبب بنسائنا فاباحهم الوالي دمه، وطلب جميلا فهرب منه، وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعا فقال في ذلك:

وَمَا صَائِبٍ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ *** يَدٌ وَمَمَرُ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ.

لَهُ فِي خَوَافِي النَسْرِ حَمٌ نَظَائِرُ *** وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزاعبي فَتِيقُ.

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ، أَمَّا خِطَامُهَا *** فَمَتْنٌ، وَأَمَا عُودُهَا فَعَتِيقُ.

بِأَوْشَكِ قَتْلَ ًا مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِي *** نَوافِذُ لَمْ تَظْهَرْ لَهُنَّ فُرُوقُ.

تَفَرَّقَ أَهْلاَنَا، بُثَيْنَ، فَمِنْهُمْ *** فَرِيقٌ أَقَامُوا، وَاسْتَمَرَ فَرِيقُ.

فَلو كُنْتُ خَوَارًا لَقَدْ بَاحَ مُضْمَرِي *** وَلَكِنَنِي صَلْبُ القَنَاةِ عَرِيقُ.

كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَا بُثَيْنُ،لَو انَّهُ *** تَكَشَفَ غمَاهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ.[2]

وهكذا ضاقت الدنيا بعيني جميل فراح يضرب في الأرض، وكان يصعد في الليل إلى كثيب رمل ويتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول:

هبي لي نسمة من ريح بثن *** ومني بالهبوب إلى جميل .

وقولي: يا بثينة، حسب نفسي *** قليلك أو اقل من القليل.[3]

[1] - المرجع السابق: ص (44.42).
[2] المرجع نفسه، ص78.
[3] المرجع نفسه، ص86.

فإذا ظهر الصبح انصرف وكانت بثينة تقول على ما يروى لجوار من الحي عندها:" اتق الله فهذا شيئي خيله لك الشيطان لا حقيقة له". ولم يمض زمن حتى وقع الصلح بين جميل وبثينة وضرب معها موعدا للقاء، إلا أن قومها وجدوه عندها فتوعدوه وكرهوا أن تتشب بينهم وبين قومه حرب في دمه. وكان قومه اعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى العامل وشكوه إلى "مروان بن هشام الحضرمي" والي تيماء من قبل" عبد الملك" فطلبه طلبا شديدا فهرب إلى اليمن وأقام بها مدة وفي ذلك يقول:

سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت *** إلى ودوني الاشعرون وغافق.

الم خيال من بثينة طارق *** على النأي، مشتاق إلى وشائق.

كأن فتيت المسك خالط نشرها *** تغل به أردانها والمرافق.

وهجرك من تيماء بلاء وشقوة *** عليك مع الشوق الذي لا يفارق.

ألا انها ليست تجود لذي الهوى *** بل البخل منها شيمة والخلائق.

نعم، صدق الواشون أنت كريمة *** علي، وان لم تصف منك الخلائق.[1]

وقال عندما طارده مروان بن هشام في قصيدة " هي السحر":

أتاني عن مروان بالغيب انه *** مقيد دمي أو قاطع من لسانيا.

ففي العيس منجاة وفي الأرض مذهب *** إذا نحن رفعنا لهن المثانيا.

أقول لداعي الحب والحجر بيننا *** ووادي القرى: لبيك لما دعانيا.

وعاودت من خلي قديم صبابتي *** وأظهرت من وجدي الذي كان خافيا.

وقالوا: به داء عياء أصابه *** وقد علمت نفسي مكان دوائيا.

امضوربة ليلى أن أزورها *** ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا.

[1] - المرجع السابق، ص77.76.

هي السحر إلا أن للسحر رقية *** واني لا ألفي لها الدهر راقيا.

أحب من الأسماء ماوافق اسمها *** وأشبهه أو كان منه مدانيا.

وددت على حب الحياة، لو أنها *** يزاد لها في عمرها من حياتها.

وأنت التي إن شئت كدرت عيشتي *** وان شئت، بعد الله أنعمت باليا.[1]

ولم يزل جميل في اليمن إلى أن عزل الوالي، فرجع إذ ذاك إلى ارض بثينة فشكا أكابر الحي إلى أبيه وناشدوه الله والرحم، وسألوه كف ابنه عن فتاتهم وعن التشبيب بها، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع. فدعا به وأنبه ونصح له فقال له جميل:" الرأي ما رأيت والقول ما قلت... والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ولا سبيل إلى ذلك وإنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي ولكن أنا امتنع عن طروق هذا الحي والإلمام به ولو مت كمدا وهذا جهدي ومبلغ ما اقدر عليه." وقام وهو يبكي، فبكى أبوه ومن حضر جزعا لما رأوه ثم انشد يقول:

ألا من لقلب لا يمل فيذهل *** أفق، فالتعزي عن بثينة أجمل.

سلا كل ذي ود علمت مكانه *** وأنت بها حتى الممات موكل.

فما هكذا أحببت من كان قبلها *** ولا هكذا فيما مضى كنت تفل.

فيا قلب دع ذكرى بثينة إنها *** وان كنت تهواها، تضن وتبخل.

وقد اياست من نيلها، وتجهمت *** وللباس، ان لم يقدر النيل، امثل.

وآخر عهدي، من بثينة، نظرة *** على موقف كادت من البين تقتل.

فلله عينا من رأى مثل حاجة *** كتمتكها، والنفس منها تململ.

واني لاستبكي، إذا ذكر الهوى *** إليك، واني من هواك لأوجل.

[1] - المرجع السابق، ص48.47.

إذا ما كررت الطرف نحوك رده *** من البعد فيض من الدمع يهمل.[1]

ولكن وعد جميل كان دخانا، فعاودته ذكرى بثينة وراح يتحين الفرص للقائها وكان يقول مخاطبا طيفها:

ارحميني، فقد بليت، فحسبي *** بعض ذا الداء، يا بثينة حسبي.

لامني فيك يا بثينة صحبي *** لا تلوموا، قد أقرح الحب قلبي.

زعم الناس أن دائي طبي *** أنت، والله يا بثينة طبي.[2]

فهاهنا جميل يقر لبثينة أن الناس لاموه على انه مريض ومرضه هذا لا يشفيه إلا الطبيب، غير انه يقسم بأنها هي الطبيب لهذا الداء.

ب–وفاته: لما ضاقت الدنيا بعيني جميل راح يضرب في الأرض متشردا يائسا إلى أن بلغ مصر، وقد روى عن رجل شاهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر قال انه دعاه، فقال هل لك في أن أعطيك كل ما اخلفه على أن تفعل شيئا أعهده إليك، قال: فقلت الله نعم. قال: إذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عيبتي فاعزلها جانبا ثم كحل شيء سواها لك وارحل إلى رهط بني الأحب من عذرة وهم رهط بثينة، فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها، ثم البس حلتي هذه وأشققها، ثم اعل على شرف، وصح بهذه الأبيات وخلا ذم، ثم أنشدني هذه الأبيات:

صدع النعي وما كني بجميل *** وثوى بمصر ثواء غير قفول.

ولقد أجر الذيل في وادي القرى *** نشوان بين مزارع ونخيل.

قومي بثنية فاندبي بعويل *** وابكي خليلك دون كل خليل.[3]

[1] - المرجع نفسه، 41.40.
[2] - المرجع السابق، ص102.
[3] - المرجع نفسه،ص 128.

قال: فلما قضى وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل، فلما أتممت الأبيات حتى برزت إليّ امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهن طولا وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز في دجنة، حتى أتيتني فقالت: يا هذا والله لئن كنت صادقا لقد قتلتني ولئن كنت كاذبا لقد فضحتني، قلت: ما أنا إلا صادق.[1] وأخرجت حلته، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها، واجتمعت نسوة الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت، فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول:

وان سلوى عن جميل لساعة *** من الدهر ما حانت ولا حان حينها.

سواء علينا يا جميل بن معمر *** إذا مت، بأساء الحياة ولينها.[2]

وقيل أنها كررت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة أيام من سماعها بموت جميل.

ويبقى جميل بن معمر تلك النفس المحبة المخلصة في حبها حتى الموت، وذلك في سذاجة وبراءة وهدوء وحزم، تعبر عن حبها المؤلم بأسلوب يذوب لوعة وحياة. يمتزج فيه التفجع والتلهف والشكوى، وبلغة سهلة تسيل طبيعة وانسجاما.

ج-تغزل جميل بابنة عمه بثينة:

[1] - حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ص76.
[2] - المرجع نفسه، ص77.

اشتهر جميل بن معمر بجميل بثينة، وهو إمام المحبين العذريين إذ ينشد أنغام الحب الطاهر فيشبب بحبيبته عن شعور حقيقي بحب صادق ونقي، أصابه ما أصاب غيره من هؤلاء الشعراء التاعسين. فقد أحب بثينة وهو غلام صغير فتبادلا حبا طاهرا عفيفا شريفا، لم يستطع الرقباء والوشاة أن يرموه بريبة أو خيانة.

ولقد حفل الأدب العربي القديم بنماذج لقصص الحب الطاهر العفيف حيث تتجلى ظاهرة الحب في صورة مؤثرة محفوفة بمشاعر إنسانية رفيعة، فجميل بن معمر صاحب الغزل العفيف الرصين وها هو يبث لواعج الهوى العذري والحرقة لابنة عمه بثينة، فيقول في قصيدة" لبيك داعي الحب".[1]

وَمَازِلْتِ بي يَا بُثَيْنَ حَتّى لَوْ أنني *** مِنَ الوَجْدِ اسْتَبْكِي الحَمَامَ بَكَى لِيَا.

إذا خَدِرَتْ رِجْلِي وَقِيلَ شِفَاؤُهَا *** دُعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتِ أنتِ دُعَائِيَا.

وَمَا اَحْدَثَ النَّأْيُ المُفَرِقُ بَيْنَنَا *** سَلْوًا وَلاَ طُولَ اجْتِمَاعٍ تَلاَقِيَا.

وَلاَ زَادَنِي الوَاشُونَ إلاَّ صَبَابَةً *** وَلاَ كَثْرَةُ الوَاشِينَ إلاَ تَمَادِيَا.

اَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرِيقِ أَنَنِي *** أَظِلُ إذاَ لَمْ اُسْقَ مَاءَكِ صَادِيَا.

لَقَدْ خِفْتُ أنْ ألقى المَنِيَةَ بَغْتَةً *** وَفِي النَفْسِ حَجَاتٌ اِلَيْكِ كَمَا هِيَا.

وَانِّي لَيُنْسِينِي لِقَاؤُكِ، كُلَّمَا *** لَقَيْتُكِ يَوْمًا، أن اَبُثَّكِ مَا بِيَا.

ويبدو أن الشاعر من خلال هذه الأبيات قد انزل الحب من نفسه منزلة القداسة وكذلك الحبيبة، فهي في سويداء القلب، إن صورة المحبوبة هنا صورة ترقى في طهرها وقدسيتها عنده إلى مرتبة الدعاء المقدس، وان حالة الصدق التي يعيشها معها تجعله بمنأى عن أي وشاية يمكن أن تفرق بينهما. بل تزيده الوشايات تمسكا بها لطهرها وعفتها وعذوبة حديثها، للدرجة التي لا يخشى

[1] - ديوان جميل بثينة، مرجع سابق، ص49.48.

الشاعر موته، إلا انه لم يزل تواقا لها، وفي ذلك تدليل على منتهى الطهر والعفة والقدسية التي تشمل صورة محبوبته بثينة.

ولقد تعددت وتنوعت صور المرأة ما بين الإباحية والسلبية ومابين الحسية والمعنوية، وبحسب ادوار المرأة المختلفة. فهي تتجاوز دورها كحبيبة إلى ادوار أخرى كثيرة.[1]

يقول نزار قباني في المرأة[2]: "المرأة هي الشعر وليست ملحقة به، أو مضافة إليه، أو هامشا من هوامشه. كل شعر كتب آو يكتب أو سيكتب مرتبط بالمرأة كما الجنين بالمشيمة، وأي محاولة لفك الارتباط بينهما يقتل الطفل والأم معا،إذن فالمرأة والشعر يكملان بعضهما والمرأة في شعري أعطته حضورا مائيا ونفضت عن أبجديتي الغبار الصحراوي، والشعر بدوره يجمل المرأة ويكحلها ويعطرها ويحفظها من التبدد والاندثار".

فالمرأة هي موضوع العاطفة الصادقة في فن الغزل الأصيل، هذا الغزل الذي يصور معاني الحب الصافية، يصور الأثر الذي يتركه الحب في النفس ويصور نزوع المحب وسلوكه، كذلك يصور جنونه وتعاسته وعذابه، حرمانه ويأسه، إيمانه وقلقه. هذا الحب الذي يمتلك أمر الشاعر على عكس الحب الفاحش الذي يمتلكه الشاعر، إن في الحب العفيف قوة تخيلية تنقبض لها النفس، ومن هذا الانقباض والانبساط تتولد معاني الغزل العفيف الطاهر.[3]

2 عمر بن أبي ربيعة:

أ-معنى اللذة: إن اللذة تتبع الإدراك وتنتج عنه[4]، إنها نوع من الإدراك يحصل به المدرك على ما هو مؤثر عنده، إذ المؤثر لذيذ، واللذة مؤثرة والإدراك هو تمثل حقيقة المدرك واخذ صورته، فالنفس تتلذذ بما تدركه إن كان ما تدركه مؤثرا لديها. ولذا فمن لا يدرك لا يتلذذ ولا يحب، على أن

[1] - الأصفهاني: الأغاني، المؤسسة المصرية العامة، ط1، ج1، ص126.
[2] - نزار قباني: المرأة في شعري وفي حياتي، مرجع سابق، ص77.
[3] - الأصفهاني، مرجع سابق،ص 126.
[4] - ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، دار المعارف، القاهرة، المجلد3،ص 703.

الإدراك لا يستغرق اللذة فانه كلما كان المدرَك اشرف ذاتا والمدرِك أفضل وجودا والإدراك اشد قوة، كان التلذذ أكمل وأعظم وأدوم.

فيالك من نفس ليس يشفي غليلها *** سوى أن يرى الروحين ممتزجان.

فهكذا تكون اللذة الحسية، فلذة الحس لا تنال من دون العقل ولذة العقل ليست ممكنة من دون الحواس. فالإنسان يحصل على لذته الجنسية باستخدام جميع قواه، أي بحواسه وخياله وعقله، بل بأحلامه ورموزه. فالإنسان الذي يهوى شريكه ويشتهي مجامعته، إنما يهوى في صورة متخيلة، فان ما يؤثره العقل ويتلذذ به من المعقول، ذلك أن مبدأ اللذة يضرب بجذوره في غريزة الحب، فالذات تلعب وتتلاعب بالأشياء ولكن بلعب بها، فللجسد ألاعيبه وللشهوة مراوغاتها. لان اللذة لا تكتمل إلا بالتحام المتعاشقين واتحاد احدهما بالأخر لأنه بالاتحاد يزول معنى الفراق الذي يسبب العذاب للنفوس.[1]

ب- اللذة الحسية عند عمر بن أبي ربيعة:

عمر بن عبد الله بن عبد ربيعة خير شاعر يرسم معالم لمتعة الجنسية العربية، لأنه عربي أصيل وجميع النساء اللواتي عاشرهن أو تغزل بهن عربيات. فهو شاعر المرأة العربية في عصر أهملت فيه هذه المرأة، حيث أصبحت هي شغل العربي الشاغل، فعمر أعاد للمرأة العربية مكانتها العالية في قصيدة الغزل.

الشاعر عمر اجتنب السياسة وانقطع للحب، وقد كان رجلا مترفا غنيا من قريش. يقتنص اللذة أنى وجدت، وقد أعطى الأولوية للعالم الداخلي عالم العواطف والرغبات والأهواء على حساب العالم الخارجي عالم القيم الأخلاقية والاجتماعية.[2]

[1] - ماجد فخري: النجاة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص135.
[2] - عبد الحميد حميدة، مرجع سابق، ص114.113.

إن عمر بن أبي ربيعة كان يخرق قيم المجتمع الدينية كما كان امرؤ القيس يخرق نظام القبيلة وقيمها السائدة، فهما يلتقيان فيما يتعلق بالمرأة والحب. فكلاهما يخرج عن النموذج الأخلاقي السائد والمعاني المباحة.[1]

ولقد كان عمر يسرح ويمرح على هواه بين نساء الطبقة الارستقراطية ولم يترك امرأة شريفة من نساء قريش إلا تغزل بها و وأسرف في ذكرها، فقد اقتبس عمر من جميل و قلده، وكان جميل يشبب بحبيبته، أما عمر فكان يشبب بكل جميلة ولو لم يكن بينهما مودة. وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه حاكاها الشعراء، فيشبب بشهيرات النساء اللواتي يقدمن إلى مكة وهن في مشاعر الحج، أو ينظر إليهن وهن في الطواف فيرى منهن ما لا يراه في الخارج فيصفهن.
فتعرض لأشهر نساء العرب وأجملهن، فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان الخليفة لكن لم يكن يذكر اسمها خوفا من أبيها ومن الحجاج. وكان أبوها قد بعث إليه يتوعده إذا ذكرها، فلما عادت قال فيها:

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي *** ليتني مت قبل يوم الرحيل.

لا أطيق الكلام من شدة الخوف *** ودمعي يسيل كل مسيل.

ذرفت عينها وفاضت عيوني *** وكلانا يلقى بلب أصيل.[2]

وممن شبب بهن "عائشة بنت طلحة "الشهيرة بالجمال والتعقل، وكان قد رآها تطوف فعلمت انه لا يرح أن يشبب بها فبعثت إليه مع جاريتها تقول:" اتق الله ولا تقل هجرا" فأجابها:" اقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول إلا حسنا." وقال:

لعائشة ابنة التيمي عندي *** حمى في القلب، لا يرعى حماها.

فقلت له وكاد يراع قلبي *** فلم أر قط كاليوم اشتباها.[3]

[1] - المرجع السابق، ص114.113.
[2] - جرجي زيدان، مرجع سابق، ص 495.494.
[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وشبب بسكينة بنت الحين يقول:

أسكين ما ماء الفرات وطيبه *** مني على ظمأ وفقد شراب.

بألذ منك وان نأيت وقلما *** ترعى النساء أمانة الغياب.[1]

وشبب أيضا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث، وكان قد تزوجها رجل اسمه "سهيل" يقول عمر:

أيها المنكح الثريا سهيلا *** عمرك الله كيف يجتمعان.[2]

فالدكتور طه حسين يعتبر عمر رئيس مذهب في الغزل الاباحي لأنه لم يكن يتغزل في الهواء ولا يطمح إلى المثل المعنوي الأعلى، وإنما كان يعيش في الأرض ويستبيح لنفسه من اللذات ما أباح له الدين وما لم يبح له. بينما جميل كان زعيم الغزل العذري العفيف ولم يكن يطمح إلا إلى المثل الأعلى، والى الجمال من حيث هو ولا يستبيح شيئا لم يبحه الدين ولم ترض عنه الأخلاق.[3]

فقيمة المرأة عند عمر كامنة في المتعة الجنسية، كامنة في اللذة المادية المتوفرة في جسد المرأة، إن جسد المرأة عند عمر بين ربيعة هو آفاق القيمة–المرأة– الجسد في شعر عمر هو محور اهتماماته اليومية، لان هذا الجسد هو فردوسه الذي يخلصه من عذاب الحياة وشر الواقع، فيلجا عمر إلى جسد المرأة لجوء حنين صوفي. فجسدها عنه هو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن ينتزعه من الواقع الممل ويقذف به نحو المجهول، نحو الانتظار نح لقاء جديد مع جسد جديد. يجدد عنده الأمل بان الغد ليس كالحاضر والماضي.[4]

إن عمر بن أبي ربيعة أعاد لقصيدة الغزل الجاهلي أصالتها ورونقها بعدما انقطعت فترة طويلة في عصر صدر الإسلام، يقول عمر:

[1] -ديوان عمر بن أبي ربيعة: محمد محي الدين عبد الحميد، سحب الطباعة الشعبية للجيش، ص435.
[2] - المرجع نفسه، ص503.
[3] - مقدمة الديوان لطه حسين، ص73.72.
[4] - عبد الحميد حميدة، مرجع سابق، ص118.117.

اَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ *** غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهْجِرُ.

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوابِهَا *** فَتُبْلِغَ عُذْرًا وَالمَقَالَةُ تَعْذِرُ.

أَهِيمُ إِلَى نُعْمٍ. فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ *** ولاَ الحبلُ مَوْصُولُ، وَلاَ القَلْبُ مُقْصِرٌ.

وَلاَ قُرْبُ نُعْمٍ–إِنْ دَنَتْ– لَكَ نَافِعُ *** وَلاَ نَأْيُهَا يُسْلِي وَلاَ أَنْتَ تَصْبِرُ.[1]

هذا المطلع الغزلي عند عمر قائم على المحاكاة التخيلية التي ربطت الثقافة الغزلية القديمة بروح العصر الأموي،فمخاطبة الشاعر لقلبه الذي يحمله في الغداة والعشي إلى ديار الحبيبة، تمثل الخطاب العربي الغزلي الموجه إلى القلب أولا والى الآخر ثانيا. انه خطاب صادر عن ازدواجية داخل النفس: العقل والقلب.

فعقل الشاعر في قصيدة الغزل يخاطب قلبه الذي لا يصبر على فراق الأحبة، فالحب عند عمر قدر لا يستطيع أن يتخلص من ناره المطهرة لأنه أزلي وكوني. بمعنى أن الشاعر العربي وجد نفسه مخلوقا في عالم الحب، فليس هو الذي خلق الحب بل الحب هو الذي خلقه، فحبه لا يرتوي وقلبه لا يعرف الهدوء ولا الراحة ولا الاستكانة. حب لا يعرف القناعة ولا الصبر، ويقول في ذلك:

إِذَا زُرْتُ نُعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ *** لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتُهَا يَتنمرُ.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أُلِمَّ بِبَيْتِهَا *** يُسِرُّ لِي الشَّحْنَاءَ وَالبُغْضَ يُظْهِرُ.[2]

إن الخضوع التام للمرأة في الغزل يجسد رجولة الشاعر الفارس الذي ينتصر على كلي شيء، ويتوج هذا الانتصار بالخضوع التام للمرأة–الحب– لان قسوة الحب عدل، وإذلاله عظم وتعال.وعبوديته حرية، وظلمه رحمة. ولكن السمة الرئيسية في غزل عمر هي سمة الغزل التقليدي وما رحلة عمر إلى الحبيبة "ليلة ذي دوران" إلا كرحلة الشعراء في ليالي الغرام. يقول:

[1] - ديون عمر بن أبي ربيعة، مرجع سابق،ص 436.
[2] - المرجع نفسه، ص93

وليلة ذي دوران جشمتني السرى *** وقد يجشم الهول المحب المغرر.

فبت رقيبا للرفاق على شفا *** أحاذر منهم من يطوف وانظر.

إليهم متى يستمكن النوم منهم *** ولي مجلس، لولا اللبانة أوعر.

وبانت قلوصي بالعراء ورحلها *** لطارق ليل أو لمن جاء معور.

وبت أناجي النفس أين خباؤها *** وكيف لما آتي من الأمر مصدر.[1]

كل هذه الصور الشعرية في قصيدة الغزل عند عمر تعبر عن طبيعة الغزل حيث يتحمل العربي المشاق والأهوال من اجل الوصول إلى حبيبته، ولا يجد مذلة في التعبير عن شوقه للمرأة طالما يعشقها. إنها سيدة وهو عبد لها، وهذه اسمي درجات الحرية عند العاشق. إن المرأة لا تحب الجبان ذا الحاجة، فعمر يعرف سر المرأة، فالمرأة ترغب بالرجل المشتاق إليها حتى لا يفضح أمرها، فتجارب عمر النسائية أكسبته معرفة واسعة بنفسية المرأة ومهارة فائقة في مخاطبتها، وخبرة متنوعة بطرق إرضائها. إن كلامه لحبيبته كلام مخيل يؤدي إلى انفراج في موقفها وانبساط في نفسها. يقول عمر:

فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَاَفْرَحَ رَوْعُهَا *** كَلَاكَ بِحِفْظِ رَبُّكَ المُتَكَبِرُ.

فَأَنْتَ اَبَا الخَطَابِ غَيْرَ مُدَافِعٍ *** عَلَي أَميُر مَا مَكَثْتَ مُؤَمَرُ.

فَبِتُ قَرِيرَ العَيْنِ أُعْطِيتُ حَاجَتِي *** أُقَبِلُ فَاهًا فِي الخَلاَءِ فَأُكْثِرُ.

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طُولُـهُ *** وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ.[2]

فهكذا يقطف الشاعر اللذة الحسية من جسد المرأة ويعطي لليل بعدا إنسانيا، حيث يجعله المكان الزماني للجنس الذي هو قمة الاستمتاع الجمالي في الحياة الدنيا، فعمر لم يخرج عن كونه شاعرا عربيا يقتنص فرص اللذة من عدوه الزمن.

[1] - المرجع السابق، ص95.
[2] - المرجع نفسه، ص97.

فاللذة الحسية تكون نوا من اللذة الصوفية في الأبدية، وما فخر الشاعر بنفسه وهو في أحضان حبيبته يستمد القوة والشجاعة منها، لان الخوف زال من قلبه وأصبح مليئا بالأمان. فالشاعر في لحظات الوداع يظل هائما في نشوة اللقاء يعتريه إحساس بالظفر والانتصار والخلود.[1]

فحال عمر بن آبي ربيعة عندما جاء إلى حبيبته جاء مع الزمن الفناء مع الخوف من أي شيء يراه، الخوف من ضوء قمر، من الرعيان والسمر. جاء إليها يتلوى كالخباب، وعندما رجع بالاتجاه المعاكس للزمن رجع باتجاه الأبدية والخلود، رجع بطلا شجاعا ينازل الأعداء بدون خوف.

فزمن الذهاب إلى الحبيبة هو زمن الجوع والفراغ، بينما زمن الرجوع من عندها هو زمن الشبع والتفتح والقوة، فالشهوة الجنسية تترك ظلالا إنسانية مقدسة في الروح وإنها كما يقول ادونيس:" أعظم لذة على الأرض" فتفجير الشهوة الجنسية هو تفجير للزمن الدائري الذي يفرض قيودا على الشهوات الجنسية. فهذا الغزل الحسي عند عمر جاء بكل هذه المعاني الجديدة التي غيرت الواقع في مجتمع إسلامي يخجل من الجنس ويعتبره عارا وعيبا، ويدخله في منطق الحرام والحلال.[2]

هذا هو عمر بن أبي ربيعة الذي وقف حياته كلها على التغزل بالمرأة والتغني بجمالها ومفاتنها، أدرك نفسيتها فأحسن تصوير مشاعرها وأهوائها وحركاتها وإشاراتها، وأساليب حديثها وطرق تعبيرها. كما أبدع في معظم قصصه الغرامي البارع الوصف والذي يتخلله حوار متماسك، نابض بالحياة، يجري على بحور لينة خفيفة وبألفاظ سهلة عذبة تناسب موضوع القصة وجوها العام.[3]

[1] - كمال خلايلي: جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.، لبنان، 1993، ص60.
[2] - المرجع نفسه.
[3] - المرجع السابق، ص61.

خاتمة:

من خلال هذا العرض البسيط لصورة المرأة عند شعراء الغزل الإسلاميين التي اتخذنا لها نموذجا وهو جميل بن معمر، توصلنا إلى النتائج التالية:

1- تكلمنا في الفصل الأول عن صورة المرأة في الإسلام حيث أن النظرة إلى المرأة تختلف باختلاف العصور الإسلامية، ففي صدر الإسلام تهذب حديث الشعراء عن المرأة ولكنه بقي تابعا في معظمه إلى فترة ماقبل الإسلام. أما إذا نظرنا إلى صورة المرأة عند شعراء عصر بني أمية فإننا نجد أن الشعراء اختلفوا في تصويرها، حيث نجد أن هناك من اهتم بتصوير العاطفة، وهناك من ركز على الجانب الحسي للمرأة.

- تعد المرأة في الشعر الإسلامي مصدر الهام، فهي رمز وإيحاء يبث إليه الشاعر همومه وأحزانه أو استلهامها رمزا يحزن من اجله.

- احتل شعر الغزل مساحة واسعة في ثورة الشعر العربي وتربع على قممها، حيث انه في صدر الإسلام تلاشى شعر الغزل لانشغال العرب بالفتوحات مع أن الإسلام لم يحرم الحب إنما أراد أن يجعل منه قوة دافعة نحو الخير كما أراد أن يرفعه عن مستوى الجاهلية.

- أما في العصر الأموي فقد تطور هذا الغرض وأكثر الشعراء النظم فيه وظهر ثلاثة أنواع منه: غزل عذري نسبة إلى قبيلة بني عذرة، الغزل الفاحش أو الماجن، الغزل التقليدي. ويعد الغزل منزه عن الأغراض النفعية.

2- أما في الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى النقاط التالية:

-شاعر الغزل جميل بن معمر والشهير بقصته "جميل بثينة" والتي تعد من النوادر في الأدب العربي، فهو رجل قوي الأثر محكم الشعر، استعد للشعر كل الاستعداد فنظمه وأبدع فيه خاصة ذلك الذي نظمه مشببا بابنة عمه وحبيبته" بثينة". حيث انه أحبها وتغزل بها رغم كل الصعوبات التي واجهها من أبيها الذي لم يرد تزويجه إياها وتصدى للهجاء الذي رشقوه به رهطها.

توفي جميل بمصر، ويبقى تلك النفس المحبة المخلصة في حبها حتى الموت، وذلك في سجادة وهدوء وبلغة سهلة تسيل طبيعة وانسجاما.

– شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة هو خير شاعر يرسم معالم المتعة لجنسية العربية، لأنه عربي أصيل. إذ انه اقتبس من جميل وقلده وكان جميل يشبب بحبيبته، أما عمر فكان يشبب بكل جميلة، ويشبب بشهيرات النساء ويصفهن. فكان يستبيح لنفسه من اللذات ما أباح له الدين وما لم يبح على عكس جميل الذي كان زعيم الغزل العذري العفيف، الذي لم يكن يطمح إلا إلى المثل الأعلى، حيث أن قيمة المرأة عند عمر كانت في المتعة الجنسية، كامنة في اللذة المادية المتوفرة في جسد المرأة. حيث أن جسد المرأة في شعر عمر هو محور اهتماماته اليومية، كما انه أبدع في قصصه الغرامي البارع الوصف والذي يتخلله حوار متماسك نابض بالحياة.

وفي الأخير نستنتج أن صورة المرأة عند شعراء الغزل هي صورة المرأة العاشقة التي كانت ضحية لحبها من جهة وعبئ العادات والتقاليد عليها من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

1/ قائمة المراجع:

1-ابن سلام الجمحي: **طبقات فحول الشعراء**، ج1،دار المدني،جدة، 1974.

2- ابن رشيق القيرواني: **العمدة**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، ج2.

3- أبي الفرج قدامة بن جعفر: **نقد الشعر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

4- الأصفهاني: **الأغاني**، ج4، ج12، دار الثقافة، بيروت.

5- جرجي زيدان: **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، موفم للنشر.

6- حنا الفاخوري: **منتخبات الأدب العربي**، الكتبة البوليسية، بيروت، لبنان.

7- ديوان من "**القدس إلى سراييفو**" ، عبد الرحمان الغشماوي، دار الصحوة، مصر.

8- رضا ديب عواضة: **المرأة في شعر** (عمر بن أبي ربيعة، عمر أبي ريشة، نزار قباني)، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

9- سراج الدين محمد: **الغزل في الشعر العربي**، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.

10- شكري فيصل: **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت.

11- عبد الحميد حميدة، **مقدمة لقصيدة الغزل العربية**، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان.

12- عبد الرحمان الغشماوي: **إلى أمتي**، مكتبة العبيكان، الرياض.

13- علي إبراهيم أبو زيد: **صورة المرأة في الشعر العباسي**، دار المعارف، القاهرة.

14- علي البطل: **الصورة في الشعر العربي**.

15- كمال خلايلي: **جمهرة الغزل في الشعر العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،ط1،1993.

16- ماجد فخري: **النجاة**، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

17- مقدمة الديوان لطه حسين.

18- نزار قباني: **المرأة في شعري وحياتي**.

2/ قائمة المصادر:

1- ابن منظور: **لسان العرب**، مادة غ.ز.ل، ج11.

2- ابن سينا: **الإرشادات والتوجيهات**، دار المعارف، القاهرة، المجلد 3.

3- أبو نواس: **الديوان**، تحقيق عبد المجيد غزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

4- احمد محمد الحوفي: **الغزل في العصر الجاهلي**.

5- حسان بن ثابت: **الديوان**، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الأندلس للطباعة والنشر، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان، 1983.

6- ديوان جميل بثينة، سحب الطباعة الشعبية للجيش.

7- ديوان قيس بن الملوح، سحب الطباعة الشعبية للجيش.

8- عمر بن أبي ربيعة: **الديوان**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس للطباعة والنشر، دار الكتب العامة، بيروت، لبنان، 1983.

9- قيس بن ذريح: **الديوان**، جمعه وحققه وشرحه الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، لبنان.